من مولّدات المسكوت عنه في الخطاب

Among the unsaid Generators in Discourse

De les générateurs de non-dits dans le discours

خالد بن هلال بن ناصر العَبري*
الحوّاس مسعودي**
جامعة السّلطان قابوس - سلطنة عمان

الإرسال : 27-03-2023 القبول: 04-03-2023 تاريخ النشر : 26-06-2023

الملخّص

تعتري مصطلح "المسكوت عنه" إشكالات واسعة في ضبط مفهومه، ووضع محددات واضحة تخلّصه من بقية أشكال "ما لم يقل" أو المعاني غير المصرّح بها، ويقدم هذا البحث -استنادًا على المقاربات التداولية- مفهومًا أكثر تحديدًا للمسكوت عنه، وذلك من خلال تقديم مجموعة من المحددات التي تضبط المفهوم، ثم من خلال تتبع أشكال المسكوت عنه في الخطاب، ثم توظيف ذلك كله للوصول إلى توضيح الآلية التي يتولّد بها المسكوت عنه، سواء تولّده من البنى النحوية كالحذف والإحالة، أو من الأساليب البلاغية كالتشبيه والاستعارة والتهكم والتورية وغيرها، مع تقديم أمثلة توضيحية من التراث الأدبي العربي.

الكلمات المفتاحيّة : المسكوت عنه، مولدات المسكوت عنه، محددات المسكوت عنه.

*- طالب دكتوراه بقسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان.

**- أستاذ اللسانيات العامة بقسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس.

Abstract

The term (unsaid) still faces problems in defining its concept, and setting clear parameters that are free from the rest of the (what is implicated). This research depend on pragmatics approaches offers a more specific concept of the unsaid, by introducing a set of determinants that adjust the concept, by tracking the forms of the unsaid in the discourse. Finally, it will clarify the mechanism by which the unsaid is generated, whether it is generated from grammatical structures such as omission and reference, or from rhetorical methods such as simile, metaphor, irony, pun, and others. With providing illustrative examples from the Arab literary heritage.

Keywords : unsaid, unsaid generators, unsaid determinants.

Résumé

Le terme (non-dit) se heurte encore à des difficultés pour définir son concept et fixer des paramètres clairs et indépendants du reste du (ce qui est impliqué). Ces recherches s'appuient sur des approches pragmatiques et proposent une conception plus spécifique du non-dit, en introduisant un

ensemble de de déterminants qui ajustent le concept, en traquant les formes du non-dit dans le discours. Enfin, il clarifiera le mécanisme par lequel le non-dit est généré, q'il soit généré à partir de structures grammaticales telles quel'omission et la référence, ou à partir de méthodes rhétoriques telles que la comparaison, la métaphore, l'ironie, le jeu de mots et autres. En fournissant des exemples illustratifs du patrimoine littéraire arabe.

Mots-clés : le non dit, générateurs du non dit, déterminants du non dit.

■ تمهيد

تعدّ دراسة المسكوت عنه (unsaid) من مختلف جوانبه حقلا خصبًا، تناولته الدراسات في العقدين الأخيرين بشكل واسع، سواء التنظيرية منها أم التطبيقية التي درسته في مدونات مختلفة، كالمدونات التاريخية أو الروايات أو القصص القصيرة أو الدواوين الشعرية. ومع ما يكتنف مفهومه من ضبابية إلا أنه بدأ يأخذ مفهومًا واضحا يخلّصه من أشكال المعاني الضمنية الأخرى كالمضمر والضمني، انطلاقًا من اعتبار القصدية فيه، ذلك لأنّ القصدية في المسكوت عنه تقع في رأس محدداته، فالمتكلم يبني كلامه بقصد إخفاء المعنى وتعميته، وليس من باب اللياقة والتأدب، وكذلك ليس لأن التعبير بشكل غير صريح له سحر يفوق سحر التعبير بشكل صريح، كما هو الحال في المضمر.

وللتداولية اهتمام خاص بالمعاني غير المصرح بها، ذلك لأنه لا يمكن فكّ شفرتها إلا بالرجوع إلى السياق، فهي مرتبطة باستعمال المتكلم للغة وتوظيفها خدمة لمقاصده، فهو يخفي معنى يريده بإظهار معنى آخر لا يريده، وهذا على رأس اهتمامات التداولية. لذلك سنعتمد على المقاربات التداولية التي تناولت المعاني غير الظاهرة وعلى رأسها المضمر والمسكوت، وخاصة تلك التي قدّمها الفيلسوف بول جرايس ولورانس هورن وفرانسوا ريكاناتي وكاترين أوريكيوني.

وسنقسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام رئيسة، أولها تقديم مفهوم أكثر تحديدًا للمسكوت عنه يخلّصه من المفاهيم الموازية له كالمضمر والضمني. ثم نقدم بعض المحددات التي نرى أنها أساسية في ضبط مفهوم المسكوت عنه، ثم في خطوة ثانية نقدم بعض الأشكال التي يتجلّى فيها المسكوت عنه وذلك حسب زاوية النظر إليه؛ لندخل بعدها إلى الحديث عن مولّدات المسكوت عنه في القسم الثالث، التي نقصد بها لجوء المتكلم إلى كل ما يتيحه نظام

اللغة من إمكان تعمية المعنى وإخفائه، فيلجأ إلى البنى النحوية، فيحذف منها أو يتلاعب في إحالة الضمائر فيها، أو يلجأ إلى الأساليب البلاغية التي تتيح له إخفاء المعنى وإبهامه، كالاستعارة والتعريض والكناية والتورية والتهكم.

1. ما المسكوت عنه ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال نجيب عن سؤال مهم نَعدّه مدخلا لتحديد مفهوم أضيق للمسكوت عنه، وهو : هل المسكوت عنه هو المضمر ؟ بعدها نخلص إلى تحديد مفهوم المسكوت عنه، ثم نبيّن محدداته ونستعرض بعض أشكاله.

لا يمكن تجاوز إشكالية تداخل مصطلحي المضمر والمسكوت عنه بسهولة، فالترادف بين مصطلحي "implicit" و"unsaid" في الأدبيات الغربية الأساسية لدراسة هذه الظاهرة واضح، ففي مقاله "The aid and the Unsaid" يوحي هورن بالترادف بين المصطلحين إذ يقول :

«the distinction between the said and the meant and thus between the said and Implicated (the unsaid -but- meant) has along distinguished history...»[1].

فالمسكوت عنه عنده مرادف للمضمر الذي هو مسكوت عنه لكنه مقصود ومراد، وربما يكون هذا الترادف ناجمًا عن أنّ تركيز الدراسات التداولية على اللغة اليومية التي يبلّغ فيها المتكلمون في بعض الجمل أكثر من مدلول الألفاظ أو المعنى الحرفي، وهو عمل المضمر والضمني والمسكوت عنه، ولكن المسكوت عنه كما سنبيّن يحمل محدّدات تميّزه عن بقية المفاهيم لعلّ أهمّها قصدية المتكلم، فالمتكلم يلجأ إلى المسكوت عنه ليحتمي به، أمّا

1- Horn, The said and the unsaid, p 175.

المضمر أو الضمني فـ»جزء من الصورة العادية للتواصل اليومي»[2] كما يقول ريكاناتي.

وترى أوريكيوني نقلا عن الناقد والأديب الروماني كانتيليان أن الركون إلى مختلف صور (ما لم يقل) أو المعاني غير المصرّح بها -التي تسميها أوريكيوني الصيغ المضمرة- يكون لأسباب عدة، يمكن إرجاعها إلى ثلاثة أسباب أساسية، وهي :

1- حين تساورنا الشكوك في موقف ما حول وجوب التعبير بصراحة أم لا.

2- لأن التعبير بشكل غير صريح له سحر يفوق سحر التعبير بشكل صريح.

3- حين تحول أصول اللياقة دون التعبير المباشر[3].

فنحن في المواقف التي تدفعنا إلى اللجوء إلى المعاني غير المصرح بها نختار مستوى الإضمار أو درجته؛ فنميل إلى التلميح في مواقف، بينما نختار التضمين أو الإضمار في مواقف أخرى.

ثم تضيف أوريكيوني سببًا رابعًا وهو ألصق بالمسكوت عنه منه بالمضمر، وهو عندما يتعمد المتكلم إخفاء المعنى خدمة لمقاصد خاصة، التي تسمّيها أوريكيوني «النيّات الإستراتيجية»[4]، فيلجأ إلى ما يمكن أن نسمّيه بالحيل اللغوية محاولا إخفاء المعنى، هذه الحيل التي تدعوها أوريكيوني «التلاعبات الحاذقة»[5].

فإذا كانت الأسباب الثلاثة الأولى تدفعنا إلى توظيف المضمر فإنّ السبب الرابع يدفعنا إلى توظيف المسكوت عنه، فالقصدية أهم محدد من

2- Récanati, The Pragmatics of what is said, p 326.

3- أوريكيوني، المضمر، ص 497.

4- السابق، ص 508.

5- السابق، نفسه.

محددات المسكوت عنه؛ فهي «محدد يمكن أن نعدّه ضابطًا يخلص المسكوت عنه من كافة ما لم يصرّح به (لم يقل)، ولم يتجلّ في سطح الكلام ووجهه الظاهر؛ فالسكوت عملية واعية مقصودة ضمن الكلام، والمسكوت عنه نتاج مقصود لسياسة في الكلام يختارها المتكلم بوعي؛ ليحقق بها مقصدًا في كلامه»[6].

وانطلاقًا من مفهوم المضمر ومن اعتبار القصدية في المسكوت عنه يمكن أن نصوغ تعريفًا للمسكوت عنه فيكون :

[ما يصنعه المتكلم في مواقف مخصوصة لا يستطيع التعبير فيها بشكل صريح خوفًا من المساءلة القانونية أو الاجتماعية أو الأدبيّة، فيكون السكوت خياره الأقرب، ويكون ما يبلّغه المتكلم من معانٍ لا تستنبط من الملفوظ مباشرة ولا تشكل الموضوع الحقيقي للتلفظ؛ إذ لا تكون في الغالب جزءًا من المنطوق الصريح، ويكون تشفير ذلك المعنى من المتكلم ثم فك تشفيره من المخاطب وفق مبادئ تداولية على رأسها محاولة المخاطب الوصول إلى مقاصد المتكلم مستعينًا بالسياق بكافة أشكاله].

وعلى ذلك يتجلّى المسكوت عنه في شكلين أساسيين :

1- حين لا يستطيع المتكلم التعبير في بعض المواقف بشكل صريح خوفًا من المساءلة أيًّا كان نوعها فيلجأ إلى المسكوت عنه.

2- الأشياء التي لا تقال ولا نستطيع التعبير عنها بسبب القيود والمحرّمات فتدخل في دائرة المسكوت عنه[7].

وعن هذين الشكلين تتفرع أشكال للمسكوت عنه تجمعها مجموعة من المحددات، ونعرض فيما يلي أهم محددات المسكوت عنه وبعدها نقدم بعض أشكالها التي يتجلى فيها.

6- الكندي، المسكوت عنه في الخطاب، ص 36.

7- Horn, The said and the unsaid, p 184.

2. محددات المسكوت عنه

1.2. المسكوت عنه كالمضمر : ليس له واسم لغوي يدل عليه في الملفوظ في الغالب، فهو قائم على الانطلاق من المعنى الحرفي مع إقصائه، ليستدعي معنى غير الذي تشير إليه الكلمات في معانيها وترابطها التركيبيّ وما يتكون منها من معنى حرفيّ، وهو ما يعبر عنه أمبرتو إيكو بعدم الظهور على السطح لكنّه هو المراد على مستوى المضمون حين يقول في تعريفه : «يعني الذي ليس ظاهراً في السطح على صعيد التعبير... وهو ما ينبغي أن يفعّل على مستوى تفعيل المضمون»[8].

2.2. المسكوت عنه يفرض نفسه في بعض السياقات : فلا يجد المتكلم مناصًا من الاحتماء به، يقول فوكو : «إننا نعرف جيّدًا أنه ليس لدينا الحق في أن نقول كل شيء، وأننا لا يمكن أن نتحدث عن كل شيء في كل ظرف، ونعرف أخيرًا ألا أحد يمكنه أن يتحدث عن أي شيء كان، هناك الموضوع الذي لا يجوز الحديث عنه، وهناك الطقوس الخاصة بكل ظرف»[(9)]، فالمسكوت عنه يمثّل الخيار الذي نلجأ إليه لنتمكن من قول شيء دون أن نقوله؛ لنترك لأنفسنا إمكان إنكاره إذا استدعى الأمر، ولنأمن المساءلة المجتمعية والقانونية، فإذا كان المضمر اختياريًا ومن ممارساتنا اليومية كما يقول ريكاناتي فيما نقلناه عنه سابقًا فإن المسكوت عنه إجراء يضطر إليه المتكلم اضطرارًا.

3.2. القصدية (intentionality) **:** هي أهم محدد من محددات المسكوت عنه، وبها يتميّز عن بقية أشكال المعاني التي يخفيها المتكلم. فإذا كان المعنى المصرّح به يحمل مقاصده معه فلا نجهد قدراتنا التفسيرية والتأويلية

8- إيكو، القارئ في الحكاية، ص 62.
9- فوكو، نظام الخطاب، ص 4.

للوصول إليه، وخاصة إذا كان السياق يعين على ذلك[10]، وإذا كانت القصدية معتبرة في فكّ تشفير المضمر وبقية صور ما لم يقل وإن بدرجات متفاوتة، فإنّ القصدية في المسكوت عنه تقع في رأس محدداته، فالمتكلم يبني كلامه بقصد إخفاء المعنى. أما في المضمر فإن المتكلم لم يقصد إخفاء المعنى خوفًا واحتماءً، وإنما لأن إخفاءه يكون له وقع أكثر في نفس المتكلم، ولأن الإخفاء في العادة يجعل الدلالة أوسع من التصريح، ولأنّ له سحرًا يفوق سحر التعبير بشكل بيّن كما تقول أوريكيوني[11].

ولعلّ الأمر يكون واضحًا عندما نستعرض مثال بول جرايس المشهور :

"أ" و"ب" يتحدثان عن صديق مشترك يعمل في الوقت الراهن في مصرف، يسأل "أ" صديقه "ب" عن ظروف عمل "ج" فيجيب "ب" : أوه ! أظنّ أنّ أموره على أحسن ما يرام، وهو كذلك يحبّ زملاءه، ولم يودع بعد السجن[12].

فالمتكلم كان قادرًا على أن يعبر بصراحة عمّا أضمره من معنى، الذي يمكن أن يكون : أنّه منقاد لإغراءات مهنته، أو أنّه محبوب ولكن مستوى أدائه سيّء، ولكنه اختار الإضمار لأن دلالته أوسع، ووقعه أكثر تأثيرًا، لكن في المثال نفسه لو كان مع هذين السببين سبب ثالث وهو خوف المتكلم من التصريح، لأنّ التصريح سيوقعه في المساءلة المجتمعية أو القانونية، فيقصد إخفاء المعنى وراء كلماته، لصار هذا المضمر مسكوتًا عنه، لا يمكن التصريح به بسهولة.

10- توماس، المعنى في لغة الحوار، ص 34-35.
11- أوريكيوني، المضمر، ص 497.
12- جرايس، المنطق والمحادثة، ج 2، ص 618.

وخلاصة القول إن كانت القصدية معتبرة في فك تشفير كافة أشكال ما لم يقل؛ فإنها في المسكوت عنه أشدّ اعتبارًا، وإن كانت بعض المعاني المضمرة تتولد من غير أن يقصد المتكلم إخفاءها؛ فإنّ المتكلم يقصد إخفاء المسكوت عنه قصدًا. وإن كان يمكن الوصول إلى مقاصد المتكلم في أشكال «ما لم يقل» بسهولة فإن مقاصد المتكلّم في المسكوت عنه تحتاج إلى كفاءات عدة من المتلقي؛ فالمعنى فيها قد يخفى على غالب المتلقين في المجلس الواحد ولا يفهمه إلا الشخص المراد وحده.

4.2. اعتبار السياق في المسكوت عنه : يمثل السياق بأنواعه الركيزة الأساسية لفك ترميز المسكوت عنه والوصول إلى المعنى الذي تعمّد المتكلم إخفاءه. وقد وسّعت التداولية النظر إلى السياق؛ لأن نظرياتها ومقارباتها قائمة عليه، فالسياق لصيق باستعمال اللغة، لذلك هو في منظور التداولية «مسألة سيكولوجية أو معرفية تتفاعل فيه عدة معارف منطقية وثقافية ونفسية وموضوعية وعلمية»[13]. وهذا ما دفع ديكرو ليعدّ أن كلّ خطاب أو نصّ يعكس بشكل ضمني المعتقدات العميقة للعصر[14]. فالسياق من منظور تداولي بصورة عامة هو : «أية سمات ذات صلة من سمات الخلفيّة أو المحيط الديناميكي حيث تستعمل الوحدة اللغوية بانتظام»[15]. فلو عددنا «س» وحدة لغوية فسيكون لها محيط لغوي مكون من كلّ ما في "س" من طبيعة لغوية [الفونيم والمورفيم والكلمة والجملة والملفوظ] وهو يمثّل سياقها اللغوي، ومحيط ديناميكي غير لغوي : مقامي واجتماعي وثقافي، إلخ.[16]

13- عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص 50.
14- ديكرو، القول والمقول، ص 22.
15- هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، ص 176.
16- شارودو ومنغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 133.

وللسياق تقسيمات متعددة، أهمها تقسيم السياق إلى لغوي وغير لغوي أو داخلي وخارجي، ثم يقسّم غير اللغوي أو الخارجي إلى مقامي وثقافي واجتماعي وغيرها. فالسياق اللغوي (الداخلي) يشمل القولات السابقة والتالية وأي وحدات لغوية أخرى في الخطاب أو النص[17]. ولا يقتصر السياق اللغوي على الجملة منفردة بل يشمل «الأحداث التخاطبية التي سبق للمتلفظَيْن أن عاشاها، والتبادل القولي الذي تنخرط فيه عملية التلفظ الحالية»[18]. وترى أوريكيوني أنّه لا يمكن فك ترميز المعاني المضمرة المسكوت عنها إلا بالاعتماد على السياق اللغوي المتمثّل في العناصر النصية بمكوناتها النطقية والتركيبية، فالمخاطب يفك ترميز الخطاب معتمدًا على كفاءته الألسنية اللغوية ليصل إلى المعنى المسكوت عنه[19].

أمّا السياق غير اللغوي (الخارجي) : فتتفق الأطروحات التي تناولت هذا النوع من السياق على أنه يشمل كل ما هو غير لغوي كالمكان، والزمان، والمقام الاجتماعي أو الثقافي الذي يجري فيه الحوار، وطبيعة المتحاورين وعددهم ومستواهم الاجتماعي وطبيعة دورهم في المحادثة وطبيعة العلاقة القائمة بينهم، ونوع النشاط الذي تدور حوله المحادثة، وطبيعة القواعد الاجتماعية التي تحكم المحادثة. ويدخل فيه الغاية من الخطاب : شراء سلعة، خطاب سياسي، تحقيق صحفي، استنطاق شُرطي.[20] وتشبّه أوريكيوني هذا السياق بخزان رحب يضم معلومات خارجية من المعارف والمعتقدات ونظام تمثيلات العالم المرجعي وتأويلاته وتقويماته، المتمثّلة في:

17- هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، ص 386.

18- القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 256.

19- أوريكيوني، المضمر، ص 284-283.

20- انظر : شارودو ومنغنو، معجم تحليل الخطاب، ص133، وهوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، ص404 وص481، ومانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 29-28.

بديهيات الاعتقاد، والمعارف الإدراكيّة، والمعلومات المسبقة، والمسلمات (الصامتة) بين المتحاورين، والافتراضات المسبقة التي لا تقوم المحاورة إلا بها، كل ذلك يتم استدعاؤه بطريقة جزئية، إذ يتم تحفيز جزء بسيط منها في عمليات فك الترميز[21]. وتوسع أوريكيوني السياق غير اللغوي ليشمل الإيماءات الحركية للمتحاورين[22]، والصور التي يختلقها المتكلم عن نفسه وعن المحاور، وتلك التي يخال إليه أن المحاور يختلقها عنه، وفي المقابل ما يختلقه المحاور المتلقي من صور عن المتكلم، وتلك التي يخال إليه أن المتكلم يختلقها عنه[23].

والسياق غير اللغوي متغير أثناء المحاورة أو في النص كذلك، فهو ينمو كلما تقدم الحوار، فيمكن للسياق أن يختلف كثيرا عن السياق الذي كان عليه في البداية، فتختلف معه نبرة الحوار، وتتفتح آفاق مشتركة بين المتحاورين، وتختلف التصورات التي يشكلها كل متحاور عن الآخر[24]، لذلك يرى سبيربر وويلسون أن السياق «ليس أمرًا مسلمًا به في البداية وإنما ينبني من تتابع حديث المتحاورين، ويتضمن سلسلة من المقدمات المنطقية التي تتصل بمعرفتنا بالعالم، وإلى مجموعة من البيانات المدركة المعروفة من قبل أطراف الحوار، كما أنها تنطوي على سلسلة من العناصر من المعلومات المستنبطة من تفسير الكلام السابق عند زمن بعينه»[25].

ومعرفة السياق كما تقول أوريكيوني يمثّل الجزء المهم في الكفاءة الموسوعية للمتلقي، التي ينطلق منها لفك ترميز المحتويات البيّنة أولا، ثمّ

21- أوريكيوني، المضمر، ص 285.
22- السابق، هامش ص 284.
23- السابق، ص 285.
24- مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 30-29.
25- بويغ، التداولية وتحليل الخطاب، ص 231.

«تتدخل على نحو جليّ ومكثّف أكثر بكثير في عملية فك ترميز المحتويات المضمرة»[26].

5.2. من أهم محددات المسكوت عنه أنه لا يكون واضحًا قريبًا : يمكن فكّ شفرته بسهولة، وهذا ما نلمحه في كلام أمبرتو إيكو في المواضع التي استعمل فيها هذا المصطلح، ومنها قوله : «تتحدد الحقيقة من خلال المسكوت عنه أو ما قيل بطريقة غامضة، ويجب فهمها بعد فهم ما هو ظاهر وحرفيّ»[27].

ويمكن أن نفهم أنّ إيكو يشير إلى أنّ الوصول إلى قصدية المتكلم فيه أصعب من بقية صور ما لم يقل، فهو يعتمد على أشكال عدة من الكفاءة الموسوعية للمخاطب كما تقول أوريكيوني[28]، منها ما هو متعلق بإدراك المعلومات المقامية، ومنها ما يتعلق بمعرفته السابقة بالمتكلم وطبيعة علاقته به، ومنها ما يتعلق بالأعراف الاجتماعية وبالثقافة الخاصة بالمتكلم، ومنها ما يتعلق بإدراك المخاطب لما تم توظيفه من معلومات تاريخية أو ثقافية أو علمية أو غيرها لا يمكن فكّ ترميز المسكوت عنه إلا بالإحاطة بها؛ لذلك قد لا يدرك المخاطب المعنى الذي خبّأه المتكلم مطلقًا لعدم امتلاكه الكفاءة اللازمة لفك الترميز، وقد يقوده فك ترميزه للمسكوت عنه لمعنى لم يرده المتكلم؛ مما يوقعه في معضلة أكبر وهي : سوء الفهم، لذلك يشبه الفيلسوف لودفيغ فتغنشتاين المحتويات الضمنية وعلى رأسها المسكوت عنه بلعبة «الغميضة»؛ حيث يمثّل اختباء المرء متعة، ولكن يكون عدم اكتشافه كارثة[29].

26- أوريكيوني، المضمر، ص 285.

27 Eco, Les Limites de l’interpretation, p 55.

28- أوريكيوني، المضمر، ص 285.

29- شارودو ومنغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 297.

3. من أشكال المسكوت عنه :

يتجلّى المسكوت عنه في أشكال عدة على حسب زاوية النظر إليه :

1.3. فهناك مسكوت عنه مقصود غير منطوق : وهو الشكل الغالب، الذي يتكئ في فك شفرته على السياق بأنواعه وعلى كفاءة المتلقي.

2.3. وهناك مسكوت عنه مقصود شبه منطوق : إذ يبقى في الملفوظ ما يدلّ على المسكوت عنه، ومن أمثلته أنّ «يزيد بن أبي مسلم [كاتب الحجاج] دخل على سليمان بن عبد الملك فقال له سليمان : أترى الحجاج استقرّ في قعر الجحيم بعد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين، لا تقل ذلك في الحجاج، فإنّ الحجاج وطّأ لكم المنابر، وأذل لكم الجبابر، وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك، وعن يسار أخيك فحيث كانا كان»[30]، ففي كلامه ما يدلّ على تلبّسهما بما تلبّس به الحجاج، وهو وإن كان شبه منطوق إلا أنّه لم ينتقل إلى دائرة المصرّح به، وتعمّد المتكلم إبقاءه في دائرة المسكوت عنه.

3.3. وهناك مسكوت عنه ممكن غير منطوق : وهو ما يحتمله الكلام وإن لم يرد، وغالبا ما يتكئ على قصدية المخاطب، ومن صوره المسكوت عنه الذي سكن في الذاكرة الجمعية فيحضر في الذهن وإن لم يكن المتكلم يقصده بعينه حينها، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله جرير بقبيلة نمير؛ إذ صار ذكر القبيلة نفسه أو الانتساب إليها يستحضر مسكوتًا عنه، حتى خشي أهلها من ذكر نسبهم فصاروا ينتسبون إلى أجدادهم الأبعدين، يروي الجاحظ عن أبي عبيدة أنه «كان الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممّن الرجل ؟ قال : نميريّ كما ترى، فما هو إلا أن قال جرير :

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

30- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 2، ص 146.

حتى صار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل ؟ قال : من بني عامر. قال : فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوما آخرين :

وسوف يزيدكم ضعة هجائي كما وضع الهجاء بني نمير»[31].

4.3. وهناك مسكوت عنه لا يمكن التعبير عنه في حينه : لأسباب تتعلق باللياقة والخوف من المساءلة؛ فيبقى حبيس الأذهان ينتظر لحظة يمكن أن يبثه فيها المتكلم، ومن أمثلة ذلك ما يحدث في بعض مجالس العلم؛ إذ يعجز بعض مدّعي العلم عن الإجابة عن سؤال لا ينبغي لمثله أن يجهله؛ فيستقر في أذهان الحضور أنه لم يعرف الجواب مع ادعائه العلم، فيدخل في دائرة المسكوت عنه، الذي لا يستطيع الحضور التعبير عنه لياقةً وأدبًا، حتى تجيء اللحظة التي يمكن أن يتجلى فيها ولكن يبقى مخفيًّا في لفظه.

5.3. وهناك مسكوت عنه لا يقال : فمع حضوره القوي في الأذهان إلا أنه لا يتجلى في الكلام إلا نادرًا، ويتولّد غالبًا بسبب الخوف من «الخوض في حقول معرفية بعينها نتيجة التعصب الديني والمذهبي، أو المحاذير والإكراهات السياسية، أو النعرات العرقية، أو الاستعلاء الطبقي»[32] أو غيرها من الأسباب، ويكثر هذا الشكل في عصور القمع السياسي والخوف من السلطة؛ إذ يتحول الناس إلى الكوميديا السوداء أو السخرية المبطنة أو ما يسمى بـ"المفارقة الساخرة" (irony)، التي تعني في واحد من مفاهيمها المتعددة كما يرى ميويك (Muecke) : أن يقول المرء عكس ما يعني، أو أن تقول شيئًا وتعني غيره، أو هي ذلك التناقض بين ما يقول الناس وما يفكرون فيه، أو بمعنى آخر بين ما يعتقدون وما هو واقع الحال[33]، فالمفارقة قائمة على رفض المعنى الحرفي لصالح معنى خفيّ الذي غالبًا ما يكون المعنى

31- الجاحظ، البيان والتبيين، ج4، ص 35.

32- إسماعيل، ذهنيّات العوام بين المسكوت عنه واللامفكر فيه، ص 12.

33- ميويك، المفارقة، ج4، ص28.

الضدّ، وهي بهذا المفهوم شكل من أشكال المسكوت عنه، يلجأ إليها الناس لقول ما لا يستطيعون البوح به صراحة، لكن في قالب ساخر، وفي تعليقات مقتضبة في الغالب ولكنها تحمل دلالات واسعة.

6.3. وهناك المسكوت عنه المحرّم الذي نسكت عنه لداع : وهذه الدواعي تنطلق في الغالب من ثلاثة أقطاب: الدين والجنس والسياسة، ومن منع الخوض في جوانب عديدة من هذا الثالوث نشأ المحظور أو التابو (taboo)، الذي يولّد الخوضُ فيه ومحاولةُ خرقه صورًا من المسكوت عنه.

7.3. والمسكوت عنه الذي يستقر في ذاكرة الشعوب الثقافية : ويُستحضَر كثيرًا في المواقف المشابهة للموقف الذي ولد فيه، وهو المسكوت عنه الذي يتكوّن «بعد أن يتكرر موقف معيّن تطرح فيه علامات يفهم منها دلالات محددة، بحيث تصير هذه الدلالات مفهومة في كل مرة تأتي فيها العلامات نفسها في الموقف نفسه، فإذا ما حصل في المستقبل الموقفُ نفسُه لكن نُزعت منه بعض هذه العلامات التي اعتاد المؤول أن يجدها في هذا الموقف؛ فإن عقله يقوم بتعبئة الفراغات الدلالية التي كان ينبغي أن تعبر عنها العلامات المحذوفة»[34]. ومن الأمثلة على ذلك ما صار لتركيب "العشاء الأخير" من دلالات مسكوت عنها تستحضر في مواقف مماثلة مستمدة من الثقافة المسيحية، إذ يُحيل إلى العشاء الأخير الذي كان بين عيسى عليه السلام وتلاميذه الحواريين[35] قبل أن يرفعه اللّه إليه، وهو تركيب يحوي دلالات منها توقع الخيانة، وانتظار حدوث أمر جلل يكون له ما بعده. ويدخل في هذا كذلك استحضار الأمثال في المواقف المشابهة لتلك التي قيلت فيها، وسنبيّن هذا بصورة أكبر عند تناول الصور المولّدة للمسكوت عنه.

34- الكندي، إشكالات المسكوت عنه في الخطاب الأدبي : رواية "أنا يوسف" أنموذجا، ص 95-94.

35- السابق، ص103.

8.3. وهناك المسكوت عنه الذي يعبر عنه بغير اللغة : فيكون في الحوار المنطوق بإشارات اليد، أو بزمّ الشفتين، أو بأيّة حركة يخفي صاحبها وراءها معنى لا يفهم إلا من خلال تأمل سياق الحديث وغيره من المعينات التي ذكرناها سابقًا. ويكون في النص المكتوب عند استعمال البياض، أو طريقة كتابة بعض الكلمات، أو استعمال علامات الترقيم في غير ما اصطلح عليه. ويتجلى المسكوت عنه كذلك في "الكاريكاتير"، الذي يوظف العلامات البصرية مستغنيًا عن اللغة.

4. من مولّدات المسكوت عنه

نهدف من تتبّع مولّدات المسكوت تقديم نماذج له، نتبيّن منها : كيف ينتقل المعنى من الظهور إلى الخفاء من خلال توظيف ما يختزنه نظام اللغة من خصائص ؟ وليس القصد تعداد مولّدات المسكوت عنه أو استقصاءها، ولكنْ تقريب مفهوم المسكوت عنه وبيان الكيفية التي يتولّد بها، وتقديم نماذج توضّح هذه الكيفية.

ونقصد بـ"تولّد المسكوت عنه" لجوء المتكلم إلى ما يتيحه نظام اللغة من إمكان تعمية المعنى وإخفائه، إما في طبيعة الكلمات نفسها، أو في طبيعة التراكيب. فالمتكلم يلجأ أول ما يلجأ إلى اللغة نفسها، لما فيها من خصائص تمكّنه من نقل المعنى من التصريح إلى التلميح، ومن الإبانة إلى الغموض. فاللغة مثلا تقدّم لنا فرصةً للتخلص من تبعات ما نقوله، حين يكون لما نقوله معنيان : ظاهر وخفيّ، ففي اللغة من الأساليب والإستراتيجيات ما يمكننا من قول شيء دون أن يبدو أننا قلناه، فنحن نحتمي باللغة في مواقف نرى أنه لا ينبغي أن نصرّح فيها بما نريد قوله، يقول ديكرو : «من المفيد للمرء أن يقول قولا دون أن يبدو أنّه قاله»[36].

36- ديكرو وشافّار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، ص646.

واللغة قادرة على أن تقدم لمستعمليها من الوسائل والأساليب ما يجعلهم قادرين على تحطيم القيود وتجاوز الحدود الممنوعة. فـ»اللغة بطبيعتها وجوهرها مجازية، وحين تعجز عن أن تصف الأشياء بطريقة مباشرة تجنح إلى وسائل من الوصف غير مباشرة، أي تنحو نحو مصطلحات غامضة مزدوجة المعنى»[37].

والواقع يقول إنّ مستعملي اللغة يُكسبون بعض الألفاظ والتراكيب معاني جديدة، لا يفهمها غالبًا إلا فئة محدودة، وقد تموت هذه المعاني وتنمحي بعد مدة من الزمن؛ لتغيّر الظروف التي ولدت فيها. لذلك يرى جرايس أنّه «إذا كان لكلمة أو لعبارة ما عدّة معانٍ مستعملة، فهي ليست نتيجة النظام المعجمي بل نتيجة مبدأ تداولي مطبق على القول»[38].

وفي المقابل كانت البلاغة ولا تزال سلاحًا يلجأ إليه مستعملو اللغة ليعبروا بها عمّا لا يمكن التصريح به. فيلجأ إليها العشاق ليبثّوا أشواقهم بالتلميح، ويلجأ إليها المهمشون والمعارضون الذين ليسوا على وفاق مع السلطة، ليقولوا ما يمكنهم أن يتملّصوا منه. لذلك يرى جابر عصفور أن هناك بلاغتين في التاريخ العربي : بلاغة رسمية «أنتجها البلغاء والمنظرون الذين كانوا على وفاق مع الدولة، أو في موقع الخدمة لها، أو العمل أداة من أدواتها، وهم نقليّون في الأغلب الأعمّ، ويؤمنون بالتقليد في كل الأحوال»[39]. وبلاغة أخرى «مقموعة في كتب البلاغة الرسمية، مسكوت عنها، لا نلتفت إليها عادة، ... هذه البلاغة المقموعة أنتجتها المجموعات الهامشية التي لعبت دور المعارضة، والتي كانت على خلاف

37- كاسيرر، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ص198.
38- موشلر وريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص29.
39- عصفور، بلاغة المقموعين، ص6.

مع سلطة الدولة القائمة»[40]؛ ليعبروا بها عن كل ما لا يمكن أن يصرح به، فأنتجوا بلاغة تقوم على التعريض والتلميح والتورية والتلطيف، «وأصّلوا من القواعد ما يتعلم به بلغاء المقموعين كيف يواجه الواحد منهم الأراقم دون أن تناله بالافتراس، وكيف يقول ما لا يقال دون أن يقطع لسانه أو يستخرج من قفاه»[41].

فيمكن للمتكلم إذن أن يلجأ لينقل المعنى من الإظهار إلى الإخفاء مولّدًا مسكوتًا عنه إلى أساليب عدّة في اللغة، فيلجأ إلى البنى النحوية، فيحذف منها، أو يتلاعب في عود الضمير فيها، جاعلا إحالة الضمير ممكنة إلى مراجع عدة في سياق الكلام. أو يلجأ إلى الأساليب البلاغية، فيستغلّ الخصائص التلميحية في بعض فنون البلاغة كالكناية والتورية والتهكم، أو يلجأ إلى أن يهرب من جواب سؤال ما أو يتهرّب من محور حديث ما مستعملا الأسلوب الحكيم، أو مستعملا الإطناب، بحيث يسهب في حديث ليس هو المراد، مخفيًا المعنى المراد. وسنعرض هنا لبعض هذه الأساليب، مركزين الحديث على توضيح الكيفية التي يتولّد بها المسكوت عنه من كل أسلوب منها.

1.4. الحذف

الحذف موضوع لا يخلو منها علم لغوي، فهو من المباحث المهمة في النحو والصرف والبلاغة والعروض، ويكون في كلّ مستوى من مستويات اللغة : المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي[42]. وللحذف

40- السابق، نفسه.

41- السابق، ص9.

42- الشيباني، قول في الحذف بحث في الأسس التركيبية والدلالية للحذف في المنوال النحوي والبلاغي العربي، ص510.

مصطلحات أخرى عدة في علوم اللغة[43] تدور كلها حول مفهوم واحد وهو «الإسقاط»، وعلى ذلك اتكأ التهانوي في تعريفه فرأى أنّ «الأنسب باصطلاح النحاة وأهل المعاني والبيان أنّه إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل»[44].

ويقسم النحاة والبلاغيون الحذف -باعتبار نوع المحذوف أو سبب الحذف أو مُنشِئ الحذف أو القرينة الدالة عليه- إلى أنواع عدة. ونشير هنا إلى تقسيم الحذف باعتبار مُنشِئِه؛ لأنه الأقرب إلى ما نحن فيه من دراسة المسكوت عنه، إذ يقسمونه إلى قسمين أساسيين :

حذف يقتضيه نظام اللغة : وهو ما يسمّى بالحذف الصناعي، وهو «ذلك الذي اقتضته صناعة النحو وأصوله وليس له دخل في حساب المستعمل»[45]. وليس لهذا الحذف وجود إلا في حسابات النحوي، لتستقيم الأصول وتطّرد القواعد، ومنه : مواضع إضمار أنْ الناصبة، وتقدير الاسم بعد إذا الفجائية إن وليها فعل[46].

حذف ينشئه المتكلم : وهو حذف تتيحه اللغة، وإليه أشار سيبويه بقوله : «اعلم أنّهم ممّا يحذفون الكلم، وإنْ كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا»[47]. فهو «حذف عنصر من العناصر لا تتم

43- منها مثلا : الإضمار والإسقاط والترك وترك الإظهار والاستغناء والخزل وعدم الذكر والسكوت عن المرجع السابق، ص508.

44- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص632.

45- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، ج2، ص1158.

46- الكندي، المسكوت عنه في الخطاب، ص159.

47- سيبويه، الكتاب، ج1، ص25-24.

البنية إلا به ولذلك يقدّر ذلك العنصر متى اختصر وغاب من اللفظ؛ لأنه مراد منويّ وحكمه حكم المظهر، وإنّما غيّبه المتكلم من اللفظ لتوفر الدليل عليه»[48].

ويحذف المتكلم لدواعٍ عدة منها :

(1)- الإيجاز والاختصار : وهذا طبع أصيل في العربية، يقول ابن جني : «واعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد»[49]. فالعربي يحذف طلبًا للاختصار لعلمه أن المخاطب قادر على أن يعلم ما يعنيه، لأنه أبقى له في الجملة ما يعينه على ذلك. وانعكس طبع العربية هذا على تعليلات النحاة لبعض مواطن الحذف؛ فنشأت مصطلحات من قبيل: الحذف استخفافًا والحذف لكثرة الاستعمال[50]، وهي مصطلحات تدل على أن الحذف كان في اللفظ طلبًا للاختصار؛ لأنّ المعنى يبقى واحدًا وإن أعيد المحذوف.

(2)- الحذف مراعاة للمعنى : ويكون إمّا لصرف المخاطب إلى معنى بعينه، حين يرى المتكلم أنّ الذكر يصرف المخاطب عن المعنى الذي يريده[51]،

48- الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1142.

49- ابن جني، الخصائص، ج1، ص84.

50- انظر : الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1155-1154.

51- ومثال ذلك ما ذكره الإمام عبد القاهر الجرجاني في بيت البحتري : "وكم ذدتَ عني من تحامل حادث وسَورَة أيام حززن إلى العظم"؛ إذ يقول : «الأصل لا محالة : حززن اللحم إلى العظم، إلا أن في مجيئه به محذوفًا، وإسقاطه له من النطق، وتركه في الضمير، مزية عجيبة وفائدة جليلة. وذاك أن من حذق الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع إيقاعًا يمنعه به من أن يتوهم في بدء الأمر شيئًا غير المراد، ثم ينصرف إلى المراد، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال : «وسورة أيام حززن اللحم إلى العظم»، لجاز أن يقع في وهم السامع إلى أن يجيء إلى قوله: «إلى العظم»، أن هذا الحز كان في بعض اللحم دون كله، وأنه قطع ما يلي الجلد ولم ينته إلى ما يلي العظم. فلما كان كذلك ترك ذكر "اللحم" وأسقطه من اللفظ، ليبرئ السامع من هذا الوهم، ويجعله بحيث يقع المعنى منه في أنف الفهم،

وإمّا لصرف المخاطب عن معنى بعينه، تكثيرًا للمعاني وزيادة لها، إذ يؤدي الحذف إلى تعدد المعاني المحتملة[52].[53]

(3)- الحذف تعميةً للمعنى وإيهامًا للمخاطب : إذ يعمد المتكلم إلى الحذف أحيانًا ليخفي المعنى عن المخاطب إلغازًا أو إبهامًا أو إيهامًا أو خوفًا أو لأي غرض كان. ولا يكون مُلزمًا حينها «أن يوفّر دليلا على ما حذف، ودون أن يفضي ذلك إلى فساد الكلام»[54]؛ إذ القصد هو الإبهام، ويكون هذا القصد مقدّمًا على أصول الصنعة المتمثلة في توفّر الدليل على المحذوف. ولا يكون ذلك مفضيًا إلى فساد الكلام؛ لأنّ المتكلم لم يرد الإبانة بل أراد الإخفاء وتعمّده، فإن فهم المخاطب مراده مستعينًا بأية قرينة فذلك شأنه، وإن لم يفهم فهذا ما كان يريده المتكلم. وإلى هذا يشير ابن جني عند حديثه عن حذف التمييز حين يقول : «وذلك -أي حذف التمييز- إذا علم من الحال حكم ما كان يعلم منها به، وذلك قولك : عندي عشرون، واشتريت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين. فإن لم يعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة، فإن

ويتصور في نفسه من أول الأمر أن الخز مضى في اللحم حتى لم يرده إلا العظم. أفيكون دليل أوضح من هذا وأبين وأجلى في صحة ما ذكرت لك، من أنك قد ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والامتناع من أن يبرز اللفظ من الضمير أحسن للتصوير؟» (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص171-172).

52- انظر : الشيباني، قول في الحذف، ص539-540.

53- ومثال ذلك ما يذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات :1]؛ إذ يقول بعضهم : «ولذا حذف مفعول "لا تقدموا" ليذَهب ذهن السامع كل مذهب مما يمكن تقديمه من قول أو فعل، مثلا إذا جرت مسألة في مجلسه عليه السلام لا تسبقوه بالجواب، وإذا حضر الطعام لا تبدؤوا بالأكل قبله، وإذا ذهبتم الى موضع لا تمشوا أمامه إلا لمصلحة دعت إليه، ونحو ذلك مما يمكن فيه التقديم». (البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص63).

54- الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1158.

لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم، وعليه مدار الكلام»[55].

فالحذف في الأصل عمل مشترك بين المتكلم والمخاطب، لا يعمد المتكلم فيه إلا إلى حذف ما كان معلومًا غير مفضٍ إلى اللبس عند المخاطب، ومتى ما علم أن المخاطب قادر على أن يفهم ما يعنيه. وفي المقابل يكون للمخاطب «دور حاسم في توجيه صياغة الكلام إلى وجهة دون أخرى»[56]، واضعًا مقاصد المتكلم في حسابه، مستعينًا بما يظهر من قرائن. فالحذف بين المتكلم والمخاطب «تغييب للفظ مشروط بتسييج عملية الحذف، إنتاجًا عند الحاذف وإدراكًا عند المخاطب»[57]، إلا أنه يحق للمتكلم أن يخرق هذا السياج فيحذف ما يشاء مخفيًا القرائن، جاعلا المعنى متعدد الاحتمالات، ملزمًا المخاطب بأن يلجأ إلى التأويل بحثًا عن المعنى.

ومن هذا النوع يتولّد المسكوت عنه، إذ الحذف بهذا الاعتبار عملية قصدية، يلجأ إليها المتكلم لأسباب عدة، يعمد فيها إلى تغييب المعنى. وإذا أجرينا الضوابط التي قدّمناها في تعريف المسكوت عنه يمكن أنّ نعدّ الحذف الذي يلجأ إليه المتكلم خوفًا من المساءلة -أيًّا كان نوعها قانونيةً أو اجتماعيةً أو أدبيّةً- مسكوتًا عنه.

وفي المقابل قد يتولّد المسكوت عنه في عملية الحذف من قصدية المخاطب، فعندما يحذف المتكلم ويجعل المعنى متعدد الاحتمالات يعمد المتلقي إلى تأويل احتمالات المحذوف الممكنة، فيوجّه المحذوف إلى المعنى الذي يريده المتكلم، فإن لم يصل إلى مراد المتكلم وجهها إلى مراده هو،

55- ابن جني، الخصائص، ج2، ص378.
56- الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1136.
57- الشيباني، قول في الحذف، ص517.

توجيهًا ممكنًا تحتمله البنية، ومناسب لمتطلبات المقام ومقتضى الحال[58].

ولكن الحذف في الأصل قائم على قصدية المتكلم. وقد انتبه البلاغيون إلى قصدية المتكلم في تغييب المعنى عند حديثهم عن أحوال المسند إليه، فإنّ المتكلم يلجأ إلى حذف المسند إليه ليتأتى له الإنكار إن وقع في المساءلة، يقول التفتازاني عند حديثه عن دواعي حذف المسند إليه : «(تأتّي الإنكار) أي : تيسّره لدى الحاجة نحو : فاسق فاجر، أي : زيد؛ ليتيسّر لك أن تقول : ما أردته، بل غيره»[59]. فالحذف هنا ليس مجرد حذف مكوّن أساسي من مكونات الجملة اختصارًا أو توسيعًا للمعنى، بل هو لجوء إلى تغييب المسند إليه لتوليد مسكوت عنه يمكن إنكاره.

ويلجأ المتكلم إلى الحذف متى ما رأى أن السكوت عن معنى ما أقلّ ضررًا من إظهاره، إذ يُبقي السكوت باب الاحتمالات مفتوحًا؛ فينتقي المخاطب المعنى الأقرب، وهو المعنى الأسلم الذي أراد المتكلم أن يصرفه إليه. ومن ذلك ما روي أنّ زياد بن أبيه مرض «فدخل عليه شريح القاضي يعوده، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله : كيف تركت الأمير؟ قال : تركته يأمر وينهى»[60]، وفطن مسروق إلى أن شريحًا يخفي شيئًا، وأنه إنما تعمّد حذف مفعولي يأمر وينهى ليصرف المخاطبين عن معنى بعينه؛ لذلك قال : «إن شريحًا صاحب تعريض عويص، فاسألوه. فسألوه فقال: تركته يأمر بالوصية، وينهى عن البكاء»[61]. وإنما لجأ شريح إلى توليد مسكوت عنه بالحذف ليوهم الناس أنّ سلطة الحكم وقبضته باقية؛ فلا ينفتح باب الفتنة متى ما علم الناس أن الأمير يحتضر.

58- انظر : الكندي، المسكوت عنه في الخطاب، ص162 وص171.
59- التفتازاني، المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص212.
60- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص468.
61- السابق، نفسه.

2.4. الإحالة

الإحالة هي «العلاقة بين التعبير اللغوي والكيان أو الفعاليّة أو الميزة أو العلاقة إلخ، أو مجموعة محددة بوضوح من الكيانات أو الفعاليّات أو الميزات أو العلاقات إلخ في العالم الخارجي التي يستعمل التعبير للإحالة عليها»[62]، فهي علاقة بين عنصر -اسم علم أو ضمير أو اسم إشارة أو اسم موصول- ومرجعه. وهي علاقة تأويل، فهذه العناصر مفتقرة إلى مراجعها؛ إذ لا تكتفي بذاتها في تأويلها دلاليًّا بل تحيل على شيء آخر من أجل تأويلها[63].

وتقسّم الإحالة من حيث المرجع الذي تحيل عليه إلى قسمين :

- إحالة نصّيّة : وهي أن يحيل العنصر لمرجع موجود داخل النص، ويمكن أن تكون الإحالة لشيء سابق فتكون إحالة قبلية، أو لشيء لاحق فتكون إحالة بعدية[64]. وهي إحالة لا يتحقق ترابط النص واتّساقه إلا بها.
- إحالة مقامية : وهي أن يحيل العنصر إلى مرجع موجود خارج النص[65]، وهي إحالة تسهم في إنتاج النص لأنها تربط اللغة بسياق المقام[66]. فهي إحالة إلى عناصر مفقودة داخل النص، ولا يمكن معرفتها ولا توقعها ولا تحديدها إلا باللجوء لمقتضيات الاستعمال[67]. ويمكن كذلك تسميتها بإحالة المتكلم في مقابل الإحالة النصية التي هي إحالة لسانية، وتختص

62- هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، ص558.

63- هاليداي ورقية حسن، الاتساق في الإنجليزية، ضمن: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب "Cohesion in English"، ص115.

64- السابق، ص118.

65- السابق، نفسه.

66- السابق، ص124.

67- السيساوي، المقاربة التداولية للإحالة، ص459.

الدلالة بمعالجة الإحالات النصية، بينما تقوم التداولية بمعالجة إحالات المتكلم أو الإحالات المقامية، التي تتطلب كفايات تأويلية معينة من المخاطب لاستنتاج المرجع الذي تحيل إليه[68].

والأصل أن يتعاون المتكلم والمخاطب لإنجاح عمل الإحالة، بأن يتطابق المرجع الذي يريد المتكلم الإحالة إليه والمرجع الذي يتوصل إليه المخاطب، فإن اختلفا فإنّ عمل الإحالة يفشل[69]. وهذا الاختلاف إمّا أن يكون غير مقصود؛ فيوقع المخاطب في اللبس الذي يزول بمجرد أن يوضّح المتكلم مراده، أو أن تَظهر لدى المخاطب قرائن تُزيل اللبس، وتُظهر المرجع المراد. وإمّا أن يكون مقصودًا، يتعمّده المتكلم طلبًا للإبهام وإخفاءً للمعاني، فيلجأ المخاطب إلى التأويل ليصل إلى المرجع الذي تعمّد المتكلم إلباسه وتعميته. ومن هذا اللبس المقصود يمكن أن يتولّد مسكوت عنه لا يريد المتكلم أن يفصح عنه.

ومن أكثر الصور الملبسة في الإحالة ما يسمّى بالتضارب الإحالي (referential conflict)، وهو أن «يكون هناك أكثر من مرشّح واحد ممكن للتنافس على مرجع التعبير الإحالي»[70]، ففي قولك مثلا : «أخبر محمد زيدًا أنّه حصل على جائزة»، يمكن أن يعود الضمير «الهاء» في «أنّه» على محمد، ويمكن أن يعود على زيد، ويزول هذا اللبس بالاستعانة بمعينات سياقية توضح للمخاطب من الذي حصل على الجائزة. فيمكن إذن أن يستغل المتكلم هذا التضارب في الإحالة؛ فيعمد إلى تعدد المراجع المحتملة للعنصر المحيل، مما يتيح له إمكان الإنكار وصرف الإحالة إلى مرجع محدد إذا وقع في المساءلة.

68- السابق، ص 491 - 492.

69- موشلر؛ ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص365.

70- هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، ص560.

ومن أمثلة ذلك ما روي في ترجمة ابن الجوزي من «أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي اللّه عنهما، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما شخصًا سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال، حتى لا يُراجع في ذلك. فقالت السنة : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي اللّه عنها تحت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وقالت الشيعة : هو علي لأن فاطمة ابنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم تحته»[71]، فاستعانة ابن الجوزي بالتلاعب بعود الضمير :

(1)- خلصته من سؤال قد توقعه الإجابة عنه بشكل صريح في إحراج كبير.

(2)- هيّأت له أن يخفي ما يميل إليه من رأي.

(3)- مكّنته من تجنب إثارة غضب الجمهور.

ويمكن أن يتولّد المسكوت عنه كذلك من خاصية أخرى في الإحالة، نجدها بارزة في الضمائر وأسماء الإشارة، وهي ما يسميه هاليداي ورقية حسن الإحالة المعمّمة في مقابل الإحالة المحدّدة، فالإحالة المحدّدة هي «التطابق الإحالي الدقيق مع العنصر المفترض»[72]، أما الإحالة المعمّمة فتكون بين عنصر الإحالة وعنصر آخر غير معرّف، كأن يكون عنصرًا مبهمًا لاحتماله أكثر من محيل، أو يكون عنصرًا لا يمكن تحديده إلا بالعودة إلى سياق الموقف الذي كان فيه الحوار، أو لا يمكن تحديده إلا من خلال استحضار عناصر أخرى معرّفة في السياق[73]. ففي جملة : «هم يصلحون الشارع الآن» لا بدّ من استحضار السياق لتحديد المحال إليه بالضمير

71- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص 141 - 142.

72- هاليداي ورقية حسن، الاتساق في الإنجليزية، ضمن: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب "Cohesion in English"، ص175.

73- السابق، نفسه. وانظر كذلك ص151.

"هم"، إذ يمكن أن يراد بهم عمال البلدية الذين يعملون حقيقة في الموقع، أو يراد بهم الجهة الأعلى المسؤولة عن إصلاح الشوارع[74].

ويكون تولّد المسكوت عنه في الإحالة المعمّمة حين يتعمد المتكلم تعمية العنصر المحال إليه، بجعله مبهماً لاحتماله أكثر من محيل، فلا يقدر على تحديده إلا المخاطب، أو لا يعرف إحالته إلا من عرف الموقف الذي يحيل إليه المتكلم. فالمتلقي لا يتوصل إلى فهم هذا النوع من الإحالة وتحديد عناصرها إلا عن طريق التأويل، وبالاعتماد على السياق.

3.4. التشبيه والاستعارة

يكمن إمكان توليد مسكوت عنه من التشبيه والاستعارة من أنها كما يقول عبد القاهر الجرجاني : «تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصَدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر»[75]؛ فيمكن للمتكلم أن يخفي ما يشاء من المعاني خلف بناء التشبيه أو الاستعارة؛ فيكون «بين اللفظ القليل الذي صرّح به والمعنى الكثير الذي يمكن تأويله مسافة تتجلى فيها قصدية المتكلم وقصدية المتلقي وقصدية النص، وفي تلك المسافة يُلتمس المخفي والمسكوت عنه»[76].

وإذا كان المتلقي في وصوله إلى العلاقة التي يُنشئها المتكلم بين المشبه والمشبه به في التشبيه أو الاستعارة ينطلق من معرفته أن المتكلم لا يريد (المعنى الحرفي) لما قال، ثمّ يحسب -بناءً على مجموعة من الإستراتيجيات أو المبادئ- المعاني الممكنة لجملة المتكلم؛ ليحدد المعنى الأنسب حسب مقتضيات السياق[77]، فإنه في حالة توظيف المتكلم للتشبيه أو الاستعارة

74- السابق، ص152.

75- الجرجاني، أسرار البلاغة، ص43.

76- الكندي، المسكوت عنه في الخطاب، ص283.

77- موشلر وريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص435.

ليخفي معنى مسكوتًا عنه يضيف مرحلة رابعة، وهي البحث عن المعنى الأبعد المخفي الذي تعمّد المتكلم تعميته، مع بقاء المعنى الأقرب واردًا، فكلاهما مما يمكن أن يشترك فيه المشبه مع المشبه به[78].

ففي جملة : (زيد أسد) : يوقن المتلقي أنّ زيدًا ليس حيوانًا، وأنّ المتكلم أراد سمة يشترك فيها زيد مع الأسد[79]، وهذا الاشتراك يحسبه المتلقي بعملية ذهنية تعتمد على كفاءته التداولية، يصل فيها إلى أن السمة الأقرب لما هم فيه من سياق مقامي هو أنّ زيدًا قويّ شجاع.

ولكن في حالة المسكوت عنه فإن المتلقي -من خلال معطيات السياق- يصل إلى قناعة مفادها أن المتكلم أراد معنى مخفيًّا في تشبيه زيد بالأسد يتجاوز معنى الشجاعة والقوة المتبادر أولا. مثال ذلك أن يكون (زيد) معك في سفر، فتُسأل عنه بعد عودتكما فتجيب بقولك: وجدته أسدًا، تريد أنك وجدته : متعاليًا كسولا لا يعين صاحبه في السفر[80]، وهو معنى محتمل يقرّه استعمال الناس وإن لم يكن المعنى المتواضع عليه في التشبيه بالأسد.

وتتفاوت درجة خفاء المعنى المسكوت عنه بحسب كفاءة المتلقي في فكّ ترميز التشبيه أو الاستعارة وربطها بالسياق. فقد يخفى المعنى المسكوت عنه عن المتلقي ويبقى في دائرة المعنى القريب، ولا ينتبه إلى المعنى البعيد إلا بعد ظهور علامات سياقية أخرى. ومن أمثلة ذلك ما يروى في ترجمة الربيع

78- انظر : أوريكيوني، المضمر، ص273.

79- يقدم موشلر وريبول مجموعة وافية للإستراتيجيات أو المبادئ التي تمكّن المخاطب من المرور من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي أو المشترك بين المشبه والمشبه به. فالإستراتيجية التي تنقل المخاطب في جملة "زيد أسد" مثلا من المعنى الحرفي إلى مراد المتكلم هي معرفة المخاطب بالخاصية البارزة للأسد وهي الشجاعة والقوة، وهذه الخواص البارزة في الأشياء التي نشبّه بها تنشأ وفق مواضعات طبيعية أو ثقافية أو اجتماعية أو غير ذلك. انظر : القاموس الموسوعي للتداولية، ص436 وما بعدها.

80- الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ج2، ص181.

بن يونس حاجب أبي جعفر المنصور، إذ «كان ابن عَيَّاش المنتوف يطعن في نسب الربيع طعنًا قبيحًا، ويشبهه بالمسيح عليه السلام؛ يخدعه بذلك، فكانَ يكرمه لذلك، حَتَّى أُخبر المنصور بما قاله له، فقال : إنه يقول لا أب لك؛ فتنكر له بعد ذلك»[81]، فقد كان يشاع أن الربيع لقيط. فالمتبادر أن يبحث المتلقي عمّا يمكن أن يشترك فيه الربيع مع المسيح عليه السلام، وهذا الذي كان في ذهن المخاطب (الربيع)؛ لذلك كان يُكرم لأجله المتكلمَ، ولكن المتكلم كان يخفي معنى مسكوتًا عنه، لم ينتبه إليه المخاطب إلا حين نُبّه.

4.4. الكناية والتعريض

الكناية هي مجيء لفظ يدلّ على معنى من المعاني الحقيقية لشيء ما ولكن المراد معنى مجازي في الشيء نفسه[82]، ففي قول العرب : «فلان كثير الرماد» يجوز حمله على الحقيقة؛ فيراد كثرة رماده لكثرة طبخه، ويجوز حمله على المجاز؛ فيراد معنى ملازم له أو مصاحب له أو يشار به عادة إليه، وهو هنا الكرم. فالكناية ترتكز على هذه العلاقة المشتركة، وهي «علاقة اشتمال غرض في غرض آخر»[83]. وتحديد أي المعنيين يراد راجع إلى المتكلم، لأنّ الكناية «بنية محايدة بين الحقيقة والمجاز، ذلك أنّ حدودها المعرفية تعتمد على (ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك)، أي أنّ المعنى الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق وقابلان للقصدية»[84].

أما التعريض فهو مجيء لفظ يدلّ على الشيء المراد من طريق المفهوم[85]، فاللفظ الوارد لا يدل دلالة مباشرة على المعنى المراد، لكن يصل المخاطب

81- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص403.
82- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج3، ص52.
83- أوريكيوني، المضمر، ص182.
84- عبدالمطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 186 - 187.
85- ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص56.

إليه من خلال التأويل؛ إذ لا يرتبط التعريض باللفظ المذكور ارتباطًا مباشرًا، على عكس الكناية التي يتوصّل فيها إلى المعنى المراد من خلال اللفظ المذكور، لذلك نجد «التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي»[86]، فعندما يقول سائل لمن يرجو منه العطاء : «إن البرد شديد هذا العام»، تعريضًا بفقره وعدم وجدانه المال لشراء ما يدفئ به نفسه وأولاده، يفهم المسؤول ما يريده السائل عبر قرائن الحال وليس مما يدلّ عليه القول مباشرة؛ لأنه ليس في القول حقيقةً ولا مجازًا ما يدلّ دلالة صريحة على طلبه المال. وقد يكون التعريض بالحال لا بالمقال، فالمتسوّل يلبس ثيابًا مقطّعة مرقّعة تعريضًا بأنه وصل إلى حال شديد من الفقر.

والأصل في الكناية والتعريض أنها آليات لإخفاء المعنى، لذلك يقرنهما البلاغيون دائما بالتصريح، وعّدوا ذلك من مميزاتها، يقول عبد القاهر الجرجاني:» «الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح»[87]، فإخفاء المعنى أصيل في الكناية. وكذا الحال في التعريض يقول ابن قتيبة : «والعرب تستعمله [أي التعريض] في كلامها كثيرا، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء»[88]. فالكناية والتعريض إذن مضنة لتوليد المضمر والمسكوت عنه؛ إذ تمثل الكناية في مستواها الأساسي انحرافًا في التعبير من الحقيقة إلى المجاز الذي يحتاج إلى تأويل، وهذا يدخلها في دائرة المضمر أو المسكوت عنه. وكذا الحال في التعريض؛ إذ يعبر المتكلم عن مراده بصورة غير مباشرة، ويستدل عليه من قرائن الحال، ويكون الوصول إلى المعنى قريبًا أو بعيدًا حسب كفاءة المتلقي، فمن المعاني «ما يكون بيّن الاحتمال، محتاجًا

86- السابق، ص57.

87- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70.

88- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص263.

إلى الاستدلال من المعطى المنجز في الملفوظ وسياق تلفظه، ويتطلب معرفة الدلالات العرفية الحافة ببعض الدوال، ومنه ما يفهم عن طريق التأويل، ولا سبيل له غير التأويل»[89].

وفي الغالب فإن توظيف الكناية والتعريض في الحديث يبقى في دائرة المضمر، التي يخفي فيها المتكلم المعنى إما لتجميل الكلام وتزيينه؛ لأن التعبير بشكل غير صريح له سحر يفوق سحر التعبير بشكل صريح كما تقول أوريكيوني[90]، أو حين تحول أصول اللياقة دون التعبير المباشر[91]، أو كما يروي الجاحظ: « في خفيِّ التعريض ما أغنى عن شنيع التَّصريح»[92]. وينتقل التعبير بالكناية والتعريض إلى دائرة المسكوت عنه حين يضطر المتكلم إليهما ليخفي المعنى خوفًا من المساءلة، وليتمكن من الإنكار وصرف المعنى إلى جهة مأمونة إن اضطر إلى ذلك.

ويستغلّ المتكلم علاقة الاشتمال التي في الكناية لكي يولّد مسكوتًا عنه، فإن العلاقة بين المكنّى والمكنى عنه يمكن أن تصرف لوجوه عدّة، فعندما أكنّي عن المرأة بأنها نؤوم الضحى يمكن أن يصرفه المتلقي إلى أنها مخدومة مترفة، بينما أريد أنا معنى مسكوتًا عنه وهو الخمول والكسل، فهو معنى محتمل كذلك.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكر من أنّ «حارثة بن بدر دخل على زياد وفي وجهه أثر، فقال زياد: ما هذا الأثر الذي في وجهك؟ قال: ركبت فرسي الأشقر فجمح بي. فقال: أما إنّك لو ركبت الأشهب لما فعل ذلك»[93]. فكلاهما خشي من التصريح المباشر فلجأا إلى الكناية، فحارثة كنى عن الخمر بالأشقر طلبًا للإخفاء، لما في معاقرة الخمر من مساءلة دينية واجتماعية، وقد

89- الكندي، المسكوت عنه في الخطاب، ص313.
90- أوريكيوني، المضمر، ص497.
91- السابق، نفسه.
92- الجاحظ، رسائل الجاحظ، المجلد الأول، ج2، ص30.
93- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص461.

يكون أراد التعليل فقصد خيلا أشقر حقيقة، ولكن زيادًا انطلق في ردّه من تعبير حارثة نفسه، فلجأ إلى الكناية خشية من التصريح المباشر من أن هذا الذي في وجهك من أثر الخمر إما حفظًا لكرامة حارثة، وإما ليترك لنفسه فرصة للإنكار إن اعتُرض عليه، فيقول إنه ما قصد إلا الفرس الأشهب كذلك، أو يقول إنّه كنّى بالأشهب عن مشروب آخر ليس له هذا الأثر الذي في الوجه، الذي يمكن أن يكون الماء أو اللبن.

أما التعريض فإنّ توظيفه لتوليد مسكوت عنه أكثر من الكناية؛ لأن مستوى الغموض والخفاء فيه أوسع منها. فيستغلّ المتكلم هذا الغموض ليولّد معنى مسكوتًا عنه، يمكن أن ينكره إذا أراد. وتتفاوت درجات التعريض اعتمادًا على وضوح المعنى وغموضه؛ فكلما بعد اللفظ الموضوع عن المعنى المقصود كان الغموض أعمق وبالتالي كانت قدرة المتلقي على فكّ شفرته أعسر.

ومن أمثلة ذلك ما يروى عن الفرزدق من أنّه «مرّ يومًا بمضرّس الفقعسي، وهو غلام حديث السن، ينشد الناس شعره فحسده على ما سمعه منه، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح : أدخلت أمك البصرة ؟ وفهم عنه مضرّس ما أراد، فقال : كلا ولكن أبي. ورجع إلى إنشاده؛ فاستحيا الفرزدق»[94]. فدرجة الإخفاء هنا متدنية؛ إذ يمكن أن يفهم كثير من المتلقين التعريض الذي أراده الفرزدق والتعريض الذي في ردّ مضرّس، فمعطيات سياق الحال تعين على ذلك. ولكن درجة الإخفاء تزداد عندما لا يكون في سياق الحال ما يعين على فك ترميز التعريض، ومن الأمثلة على ذلك أن عبدالملك بن مروان قال لثابت بن عبدالله بن الزبير يومًا : «ما ثابت من الأسماء ؟ ليس باسم رجل ولا امرأة. قال : يا أمير المؤمنين، لا ذنب لي، لو كان اسمي إليّ ما سميت نفسي إلا زينب. يعرّض بأنّه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن

94- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، ص79.

بن الحارث بن هشام»[95]. فالتعريض في اختيار المتكلم لاسم «زينب» على درجة عالية من الترميز، إذ لن يفهمه من المتلقين إلا القلة، وقد لا يفهمه إلا المخاطب وحده، وإمكان الإنكار فيه قويّ، إذ يمكن لثابت أن ينكر اختياره لاسم "زينب" لسبب محدد.

5.4. التهكم

التهكم أو السخرية أو ما تسمى كذلك بالسخرية الخفيّة أو المفارقة الساخرة (irony) تعني كما يقول ميويك (Muecke) : أن يقول المرء عكس ما يعني، أو هي ذلك التناقض بين ما يقول الناس وما يفكرون فيه[96]. فالتهكم قائم على وجود علاقة تعارض أو تضاد بين ما يقال وما يراد.

والتهكم أو السخرية آلية تلميحية[97]، تنشأ باستعمال إستراتيجيات متعددة، أهمها استعمال اللفظ المقابل، ومنها كذلك استعمال التشبيه أو الاستعارة أو المبالغة أو أيّة إستراتيجيات أخرى. فمن استعمال اللفظ المقابل قولك : "ذكي جدًّا، أخاف عليك من الحسد" وأنت تريد أنه غبي، ومن التشبيه[98] قولك : "أنت أسد" وأنت تريد أنّه جبان، ومن الاستعارة[99]

95- الآبي، نثر الدّرّ في المحاضرات، ج7، ص110.

96- ميويك، المفارقة، ج4، ص28.

97- الآليات التلميحية المراد بها الآليات غير المباشرة لإنتاج الخطاب، وهي التي تحتاج من المرسل عملا ذهنيا يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد، ففيها يعبر المرسل عن قصده بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق. انظ ر: الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ج2، ص135 - 136.

98- يقول السكاكي عن هذا النوع من التشبيه : «واعلم أن الشبه قد ينتزع من نفس التضاد، نظرا على اشتراك الضدين فيه، من حيث اتّصاف كل واحد منهما بمضادة صاحبه، ثم ينزل منزلة شبه التناسب بواسطة تمليح أو تهكم؛ فيقال للجبان ما أشبهه بالأسد، وللبخيل إنه حاتم ثان». (السكاكي، مفتاح العلوم، ص355).

99- وهي المعروفة بالاستعارة التهكمية، يقول السكاكي في تعريفها إنها «استعارة اسم أحد

قولك في بخيل مثلا : «جاء حاتم الطائي»، ومن المبالغة قولك : «أنت الوحيد في العالم الذي يتمتع بهذه الصفة»، وأنت تريد أنه لا يحمل من هذه الصفة شيئًا مطلقًا.

ويرتبط التهكم غالبًا بالسياق التعبيري الأدائي المصاحب له[100]، إذ يمكن أن نفهم أن فلانًا يسخر بقوله هذا ولا يريد المعنى الحرفي وإنما يريد نقيضه من خلال نغمة الصوت أو الابتسامة أو حركة اليدين أو حركات الوجه أو غير ذلك من تعابير الجسد.

والتهكم متنفس يستطيع المتكلم أن يخرج به شحنة من المشاعر لا يمكن أن يدلي بها صراحة، يقول جرايس : «لا أستطيع أن أتهكم إلا إذا كان ما أدلي به يعكس إما حكمًا ذا طابع عدائي أو ازدرائي، وإما شعورًا بالسخط أو الاحتقار أو ما شابه»[101]. فنحن نلجأ إلى التهكم لأنه يتيح لنا أن نعبر عن المعاني الخفية التي لا نستطيع البوح بها، وفي الوقت نفسه «يتيح لنا الاحتماء بظاهر المعنى من المسؤولية المترتبة على المقصود الخفي»[102].

ويتمتع التهكم بصفة تجعله سلاحًا فاعلا في الأزمات، وهو أنه ذو طبيعة دفاعية. فهو «مناورة تمكّن من إحباط إخضاع المتلفّظين لقواعد العقلانية واللياقة العمومية»[103]، فبه يستطيع المتكلم تجاوز الحدود الممنوعة، وتحطيم المحرمات في زمن القمع. وهو كذلك «نمط تلفّظ غير

الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح ...، ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر والإفراد بالذكر ونصب القرينة، كقولك : إن فلانا تواترت عليه البشارات بقتله ونهب أمواله وسبي أولاده، ويخص هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية أو التلميحية». (السابق، ص375).

100- أوريكيوني، المضمر، ص187.

101- السابق، ص184.

102- الكندي، المسكوت عنه في الخطاب، ص327.

103- شارودو ومنغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 322.

قابل للبتّ في شأنه، يحمل قيمًا متناقضة، ويمكن أن يجعل المرسَل إليه في حيرة من أمر مرماها»[104]؛ إذ يبقى المتلقي يزن ما قاله المتكلم للحظات، فهل ما قاله معنى مسيء يجب أن يتصدى له، أم هو معنى مقبول لا يمانعه؟ لذلك «فتأويل الأقوال في سياق المعنى الساخر (ironic meaning) يأخذ وقتًا أطول من تأويلها في سياق المعنى الحرفي»[105].

ومن هذا الباب يتولّد المسكوت عنه من التهكم، فبه يخفي المتكلم معانيه التي لا يمكنه التصريح بها، ويستطيع أن ينكر فيصرف المعنى إلى جهة لا تُدخله في المساءلة. لذا شاع استعماله في الأدبيات الناقدة للأوضاع السياسية والاقتصادية، فكثر توظيفه لدى الشعراء والمسرحيين والروائيين؛ ليخفوا به بشكل ساخر كثيرًا مما لو أظهروه لدخلوا به قاعات المحاكم وغياهب السجون.

6.4. التلميح

نقصد بالتلميح الآلية التي يعمد فيها المتكلم إلى مثل سائر أو بيت شعري أو قصة، فيشير إليه من غير تصريح به، بقصد إبلاغ المخاطب معنى خفيًّا يفهم ضمنًا من خلال استحضار ذلك المثل أو البيت الشعري أو القصة[106]. وهو من فنون البديع عند أهل البلاغة، ولعل أول من أشار إليه الرازي في كتابه نهاية الإيجاز؛ إذ عرّفه بقوله : «هو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكر»[107].

ويمكن أن نعدّ التلميح مستوى من مستويات التناص، فهو داخل فيما يسمى بالتناصية أو المتناصة أو التفاعل النصي (intertextuality)، وهي

104- السابق، نفسه.

105- Giora, On the priority of salient meanings: Studies of literal and figurative language, p 924.

106- انظر : أوريكيوني، المضمر، ص86.

107- الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص173.

تضمين بنية نصية ما في الخطاب أو النص فتبدو وكأنها جزء منه، إما بشكل مباشر فتكون استشهادًا أو تضمينًا، وإما بشكل غير مباشر (ضمني)، يتجلّى في الإيحاءات والظلال البلاغية، لذلك يختلف المتلقون في تحديدها حسب خلفياتهم الثقافية[108]. وقد عدّ القزويني التلميح نوعًا من السرقات الشعرية[109]، التي هي في مفهومها العام قريبة من مفهوم التناص.

ويتولّد المسكوت عنه من التلميح حين يوجه المتكلم المخاطب إلى مثل أو بيت شعري أو قصة ليحصل على المعنى؛ إذ يبقى المعنى ناقصًا حتى يستحضر المخاطب المثل أو البيت الشعري أو القصة، فهي آلية لإخفاء المعنى، تكون فيها الإشارة إليه أبلغ من التصريح به، يلجأ إليها المتكلم لعلمه أنها قادرة على تعمية المعنى بدرجة كبيرة جدًّا، مع ما فيها من إمكان الإنكار. ومن ذلك ما يرون من أنّ «أبا العلاء المعري كان يتعصب للمتنبي، فحضر يومًا مجلس الشريف المرتضى، فجرى ذكر أبي الطيب فهضم المرتضى من جانبه، فقال أبو العلاء: يا مولانا لو لم يكن له من الشعر إلا قوله: لك يا منازل في القلوب منازل، لكفاه. فغضب المرتضى، وأمر به فسحب وأخرج. وبعد إخراجه قال المرتضى : أتدرون ما عني بذكر البيت ؟ فقالوا : لا واللّه، فقال : عنى به قول أبي الطيب في القصيدة :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل»[110].

فأبو العلاء رأى أن أنسب سلاح يستعمله في موقفه هذا هو التلميح؛ ليولّد مسكوتًا عنه على درجة عالية من الترميز، فإن الجلساء الآخرين ما عرفوا قصده إلا بعد أن آثر المرتضى أن يخرجه من دائرة المسكوت عنه إلى دائرة المصرح به. وفي المقابل فأنّ ذكاء المرتضى وسرعة بديهته في استحضار

108- عزام، النص الغائب تجليات التناصّ في الشعر العربي، ص52.
109- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص320.
110- الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج3، ص9.

البيت المراد لم يتركا للمعري فرصة للإنكار. وقد نجح توظيفه للتلميح لأنّ كل واحد منهما قادر على استحضار ما يشير إليه الآخر. وهذا يدلّ على أنّ التلميح يتطلب متلقيًا خاصًّا، يكون قادرًا على استحضار المثل أو الشعر أو القصة التي يحال إليها. فلا ينجح التلميح إن كان المتلقي لا يعرف تلك الإحالات، أو لا تمكنه كفاءته من استحضارها.

7.4. التورية

التورية آلية قائمة على توظيف تجلي معاني اللفظة الواحدة وخفائها، ذلك لأنها قائمة على «أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله»[111]. فالمعنى القريب الظاهر غير مراد ولكنه المتبادر، والمعنى البعيد الخفيّ مراد وإن كان غير متبادر. فآلية الإخفاء فيها قائمة على إظهار المعنى القريب الذي يستر به المتكلم معنى بعيدًا بقصد الإيهام.

والتورية قائمة على قصدية المتكلم؛ فاختيار لفظ بعينه يحتمل معنيين لينصرف ذهن المخاطب إلى المعنى القريب عمل مقرر في ذهن المتكلم، ولم يقع عنده بمحض المصادفة الخالصة[112]. فوظيفة التورية الأولى إذن هي الإيهام والمغالطة؛ لذلك نظر بعض البلاغيين إلى فعل المتكلم فسموها تورية، ونظر آخرون منهم إلى غايتها وأثرها في المتلقي فسموها إيهامًا، يقول السكاكي : «الإيهام هو أن يكون للفظ استعمالان: قريب وبعيد، فيذكر لإيهام القريب في الحال، إلى أن يظهر أن المراد به البعيد»[113]، فاعتمد في تعريفه على ما تحدثه التورية من ردة فعل عند المتلقي.

111- ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص 268.

112- طايعي، التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، ص45.

113- السكاكي، مفتاح العلوم، ص427.

والقرب والبعد في معاني اللفظ الواحد يراد بها الاستعمال، إذ يتبادر إلى ذهن المتلقي المعنى الذي يستعمله، فأحد المعنيين قريب الفهم من المخاطب، والآخر لا يستحضره مباشرة وقد لا يستحضره لأنه لا يستعمله. لذلك لا يصلح للتورية إلا اللفظ الذي له معنيان حقيقيان أو أكثر، أو معنى حقيقي وآخر مجازي، «ويغلب استعماله في أحدهما، بحيث يصير الذهن يتبادر إليه دون الآخر»[114]. فالمخاطب إذن يدخل في عملية تأويل، تبدأ بالوقوف أولا عند المعنى المتبادر إلى ذهنه أول وهلة، وهو المعنى الذي يستعمله، ثم مع ما يوفره السياق من قرائن يكتشف أن المعنى لا يناسب المقام، فيقوم بإحلال المعنى الثاني مكان المعنى الأول في الجملة[115].

والتورية تطلب متكلمًا عارفًا باللغة فطنًا في توظيفها، وتتطلب كذلك متلقيا حاذقًا قادرًا على كشف المعنى الخفي المسكوت عنه، يقول ابن الأثير: «والمسلك إلى مثل هذه المعاني وتصحيح المقصد فيها عسر جدًّا، لا جرم أن الإجادة فيها قليلة». فالمخاطب بين معنيين : قريب وبعيد وقصد المتكلم مخفيّ بينهما. وليصل المخاطب إلى قصدية المتكلم عليه أن يستعين أولا بكفاءته اللغوية، ثم بما يمكن أن يوجهه إلى المعنى المراد من معطيات السياق بكافة مستوياته.

ويتولّد المضمر والمسكوت عنه من التورية لما فيها من قصدية الإخفاء والأيهام، ووظيفة التورية الأساسية هي وظيفة جمالية، يستعين بها الشعراء والأدباء لتقديم معنيين يصلحان للسياق أحدهما ظاهر والآخر خفيّ. ولكن في بعض المواقف يلجأ المتكلم إلى التورية ليخفي معنى لا يودّ إظهاره، فيوهم بالمعنى القريب وهو لا يريد إلا المعنى البعيد، الذي لو أظهره صريحًا لدخل في مساءلة قد تجلب له المتاعب. فهو «يحرص جاهدًا

114- السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج2، ص243.
115- انظر : أوريكيوني، المضمر، ص249.

على ستره وإخفائه في آنٍ، في ممارسة دلالية خطرة، قد تكون عاقبتها وخيمة لو اختلّ التوازن بين المصرح به والمسكوت عنه»[116].

والمتكلم في إخفائه للمعنى المسكوت عنه يعتمد على انصراف ذهن المخاطب إلى المعنى القريب، لذلك ينتقي من ألفاظ المشترك اللفظي ما يوقن به أن ذهن المخاطب لن ينصرف إلى المعنى البعيد ولو إلى حين. تأمل قول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- في حادثة الهجرة للرجل الذي سأله عن النبي -صلى اللّه عليه وسلم- فقال : «هادٍ يهديني السبيل»[117]. فارتباط كلمة "الهادي" في ذهن المخاطب بالسياق الذي يعيشه ويستعمله فيها، وهي أنه الدليل في السفر، لم يجعل ذهنه ينصرف إلى دلالتها الدينية الجديدة التي بدأ الإسلام في تشكيلها، وهي المرشد والمبلغ عن اللّه، وارتباط كلمة «السبيل» -وخاصة أنهم في سفر- بالطريق لن يجعل ذهنه ينصرف إلى المعنى الجديد، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله. فكان اعتماد أبي بكر -رضي الله عنه- على أن المخاطب لا يمتلك كفاية لسانية تؤهله إلى إدراك المعنى الآخر للفظ. فدرجة خفاء المعنى في التورية تعتمد إذن على عاملين أساسيين: انتقاء المتكلم للفظة بعينها في مقابل تنحية ألفاظ أخرى قد لا تكون موهمة، وعامل الذاكرة المعجمية للمتلقي، الذي لا يستحضر إلا المعنى القريب[118].

8.4. الأسلوب الحكيم

الأسلوب الحكيم أسلوب من أساليب خروج المعنى عن مقتضى الظاهر، وهو كما يعرّفه البلاغيون: «تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل

116- طايعي، التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، ص47.

117- انظر الخبر في : ابن أبي شيبة، المصنف لابن أبي شيبة، ج20، ص408، رقم الحديث 39386.

118- طايعي، التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، ص44.

كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد. أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له»[119]. ويمكن أن نعدّ الأسلوب الحكيم مولّدًا للمسكوت عنه لما فيه من قدرة المتلقي على توجيه الكلام لمعاني يحتملها ولكن المتكلم الأول لا يريدها أو لم يقصدها، فهو توليد للمسكوت عنه من جانب المتكلم الثاني، لأنه يصرف المتكلم الأول للوجهة التي يريدها هو، قاصدًا لفت انتباهه إلى المعنى الأولى أو الأهم أو الأليق، وهذا بحدّ ذاته داخل في المسكوت عنه أو المضمر على أقل تقدير؛ لوجود معنى مخفيّ يفهم من خلال قرائن السياق.

وليس كل ما ورد في الأسلوب الحكيم بمحتمل مسكوتًا عنه، إذ في الغالب يصرف المتكلمُ الثاني المتكلمَ الأول إلى معنى مصرّح به آخر غير الذي ذكره، أما في تولّد المسكوت عنه فلا بدّ من معنى مخفي ينبّه إليه المتكلمُ الثاني المتكلمَ الأول ولا يصرّح به، موحيًا إليه أن هذا هو الأليق بك وبحالك، وليس ما تحدثت عنه أو ما سألت عنه. ومن أمثلة ذلك ما يروى من أنه «أراد قوم سفرًا فحادوا عن الطريق، وانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية، فنادوه، فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضللنا فكيف الطريق ؟ قال لهم : ها هنا، وأومأ إلى السماء»[120]. فالراهب استغل لفظة «ضللنا» التي في كلامهم ليوجه الكلام وجهة أخرى متكأً على معنى مسكوت عنه، فالضلال عن الطريق أهون عنده من الضلال عن الصراط المستقيم.

9.4. الحيدة

الحيدة لون من ألوان العدول في الجواب، قائم على أن يجيب المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جوابًا عمّا سئل عنه[121]؛ فهي : «عبارة عن

119- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص70.
120- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص396.
121- ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير، ص565.

اجتلاب جواب لسؤال، وهذا الجواب المجتلب لا يكون هو المطلوب أو المسؤول عنه، وهو سلوك يعمد إليه المجيب دفعًا للسؤال، لأنه يجد في إجابته إلزامًا أو إحراجًا، على أنه ليست كل الأسئلة بمستحقة الإجابة»[122]. وقد تكون في غير السؤال وجوابه كأن ينقل المخاطب الحوار إلى جهة غير التي يريدها المتكلم، وهي بذلك تشبه الأسلوب الحكيم، ولكن الفرق بينهما أنّ الأسلوب الحكيم غايته التنبيه على الأولى بالقصد، أو الأولى بحال المخاطب، أو المهم له[123]، لكن الحيدة القصد منها الهروب من الجواب، أو التهرّب من محور الحديث.

وقد كثر هذا اللون عند علماء الجرح والتعديل، فإنهم إن سئلوا عن شخص ما وكانوا لا يرغبون بالتصريح بحاله فإنهم يحيدون عن الجواب؛ فيذكرون صفة من صفاته التي لا تتعلق بجرحه أو بتعديله، ويتركون الأمر للسائل ليفهم خلاصة حكمهم في جرح فلان أو تعديله. ومن ذلك ما جاء في ترجمة يحيى بن العلاء، فإنّه «قيل لوكيع : ما تقول في يحيى بن العلاء الرازي؟ فقال: ما كان أجمله! ما كان أفصح ه!»[124]، فحيدته عن الجواب تخفي مسكوتًا عنه، وهو أنه ليس ثقةً، ولا ينبغي أن يروى عنه. وحيدة وكيع عن التصريح مع القدرة عليه احتماء بالمسكوت عنه؛ لكي لا يدخل في مساءلة هو في غنى عنها، وتَرَك لذكاء المخاطب القدرة على استنباط الحكم.

01.4. الإطناب

ومن مولّدات المسكوت عنه : الإطناب أو الاسترسال، أي أنّ يسهب المتكلم في الكلام بعبارات ليست هي المرادة، تحوي معاني غير مطلوبة؛ لكي يخفي معنًى ما، لأن خيار الإيجاز -الذي حاد عنه المتكلم- سيكون

122- النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص67.
123- المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2 ، ص209.
124- المقدسي، الكمال في أسماء الرجال، ج 9، ص 351.

كاشفًا للمعنى، فنحن «نسكت عندما نتحدث عن أشياء كثيرة، ولكن ليس عن الشيء الذي من المتوقع أن نتحدث عنه»[125].

ولعل المثال الأقرب لذلك ما صنعته شهرزاد في الانتقال بالملك شهريار من حكاية إلى أخرى من حكايات ألف ليلة وليلة؛ لتخفي مسكوتًا عنه بقي مصاحبًا للحكايات كلها حتى آخر ليلة. فصنيع شهرزاد يؤكد «أن ما لا يقوله نص ما أو يسكت عن قوله تصبح له الأهمية نفسها التي ترتبط عادة بما يقوله النص بالفعل، وكأن الخطاب المكبوت أو المسكوت عنه يقول لنا بالضبط وبالقدر نفسه ما يقوله الخطاب المعبر عنه»[126].

■ خاتمة

ختاما يمكن أن نشير إلى أهم النتائج التي خلص إليها البحث، وبعض المقترحات التي يمكن أن تكون نواة لبحوث أخرى :

- تظافرت مباحث البحث لتقديم مفهوم أكثر تحديدًا للمسكوت عنه، فمع تقديم محدداته وأشكاله قدمت الأمثلة التي تناولناها في مولداته المفهوم الذي تبنّاه البحث للمسكوت عنه بشكل أكثر وضوحًا.
- لأنّ المسكوت عنه آلية يهرب بها المتكلم من التصريح إلى التلميح ومن الإظهار إلى التعمية يمكن أن يتمظهر في أشكال عدة، ذكرنا في بحثنا بعضها، ولكن هناك أشكال أخرى يمكن تقصّيها، وهذا مجال لا يزال مفتوحًا للبحث في المسكوت عنه.
- تتيح اللغة بطبيعتها الكثير من الأساليب والإستراتيجيات التي يمكن أن يتولّد منها المسكوت عنه مما لم نشر إليه، فيمكن أن يتولّد المسكوت عنه من بنى نحوية أخرى، كتولّده من نائب الفاعل بجميع صوره، ويمكن أن يتولّد من أساليب بلاغية أخرى في علم البديع لم نذكرها.

125- Myers, Silence and the unspoken: A study of the modes of not speaking, p 5.
126- ناجي، المسكوت عنه في خطاب شهرزاد ألف ليلة وليلة، ص 165.

■ المصادر والمراجع ■

- ابن أبي الأصبع (أبو محمد زكي الدين المصري)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، د ط، د ت.
- ابن الأثير (ضياء الدين نصر اللّه بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د ط، د ت.
- إسماعيل (محمود)، ذهنيّات العوام بين المسكوت عنه واللامفكر فيه، مجلة أدب ونقد، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، مصر، العدد 246، فبراير 2006 م.
- أوريكيوني (كاترين كيربرات)، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2008 م.
- إيكو (أمبرتو)، القارئ في الحكاية - التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1996 م.
- البروسوي (إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي)، روح البيان في تفسير القرآن، تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2018 م.
- بويغ (مارغريدا باسولز)، التداولية وتحليل الخطاب، ترجمة سناء عبدالعزيز، مجلة فصول، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، المجلد 1/ 25، العدد 97، 2016.
- التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر)، المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2013م.
- التهانوي (محمد بن علي)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996 م.

- توماس (جيني)، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة نازك إبراهيم عبدالفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط1، 2010 م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 م.
- جرايس، (هاربرت بول)، المنطق والمحادثة، ضمن إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمه محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، تونس، ط1، 2012 م.
- الجرجاني (أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن) :
- أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د ت، 1991 م.
- لائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 2004 م.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت.
- ديكرو (أوزوالد)، القول والمقول، ترجمة بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2019 م.
- ديكرو (أوزوالد) وماري جان شافّار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010 م.
- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق نصر اللّه حاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت، ط1، 2004 م.
- السبكي (بهاء الدين أحمد بن علي)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003 م.

- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987 م.
- سيبويه (عمرو بن عثمان)، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988 م.
- السيساوي (يوسف)، المقاربة التداولية للإحالة، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 2، 2014 م.
- شارودو (باتريك) ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008 م.
- الشاوش (محمد)، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، نشر مشترك بين كلية الآداب جامعة منوبة والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، د ط، 2010 م.
- الشهري (عبدالهادي بن ظافر)، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط 2، 2015 م.
- الشيباني (محمد)، قول في الحذف بحث في الأسس التركيبية والدلالية للحذف في المنوال النحوي والبلاغي العربي، ضمن كتاب ندوة المسكوت عنه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، 2010 م.
- طايعي (أحمد)، التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، زاوية للفن والثقافة، الرباط، ط1، 2008 م.
- عبدالمطلب (محمد)، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط 2، 2007 م.
- عزام (محمد)، النص الغائب تجليات التناصّ في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001 م.
- عشير (عبدالسلام)، عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 2006 م.

- عصفور (جابر)، بلاغة المقموعين، مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، القاهرة، العدد 12، سبتمبر 1992.
- فوكو (ميشيل)، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، د ط، 2007 م.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبداللّه بن مسلم الدينوري)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، ط2، 1973 م.
- القاضي (محمد) وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010 م.
- القزويني (جلال الدين محمد بن عبدالرحمن)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003 م.
- كاسيرر (أرنست)، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1961 م.
- الكندي (خالد بن سليمان)، إشكالات المسكوت عنه في الخطاب الأدبي : رواية "أنا يوسف" أنموذجا، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، عمّان، المجلد، 28، العدد 1، 2022 م.
- الكندي (محمود بن يحيى)، المسكوت عنه في الخطاب، مؤسسة اللبان للنشر، مسقط، ط1، 2022 م.
- مانغونو (دومينيك)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008 م.
- المدني (علي صدر الدين ابن معصوم)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة العرفان، كربلاء، ط1، 1969 م.
- موشلر (جاك) وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عزالدين المجدوب، دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010 م.

- ميويك (دي سي)، المفارقة، ضمن كتاب موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993.
- ناجي (سوسن)، المسكوت عنه في خطاب شهرزاد ألف ليلة وليلة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا كلية دار العلوم، العدد الثاني، المجلد الثاني، يناير 1997 م.
- النجار (نادية رمضان)، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2013 م.
- هاليداي (م.أ.ك) ورقية حسن، الاتساق في الإنجليزية Cohesion in English، ضمن : الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب "Cohesion in English"، للباحثة شريفة بلحوت، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، جامعة الجزائر كلية اللغات والآداب، السنة الجامعية 2005/ 2006 م.
- هوانغ (يان)، معجم أوكسفورد للتداولية، ترجمة هشام إبراهيم عبدالله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2020م.

مصادر الأمثلة :

- الآبي (أبو سعد منصور بن الحسين)، نثر الدّرّ في المحاضرات، تحقيق خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004 م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت.
- الحموي (ابن حجة أبو بكر بن علي بن عبداللّه)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط2، 2005 م.
- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي)، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002 م.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان وأنباء

أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1970 م.
- ابن أبي شيبة (أبو بكر عبدالله بن محمد)، المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط1، 2015 م.
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبداللّه بن مسلم الدينوري)، عيون الأخبار، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986 م.
- القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 1981،5 م.
- المبرد (محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997 م.
- المقدسي (عبدالغني بن عبدالواحد)، الكمال في أسماء الرجال، تحقيق شادي آل نعمان، الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومها، الكويت، ط 1، 2016 م.
- Eco (Umberto), Les Limites de l'interpretation, Trad : Myriem Bouzaher, Grasset et Fasquelles, 1ere ed, 1992.
- Giora (Rachel) , On the priority of salient meanings: Studies of literal and figurative language, Journal of Pragmatics, volume 31, no7, July 1999.
- Horn (Laurence R), The said and the unsaid, within Proceedings from the Second Conference on semantics and Linguistic Theory, Tho Ohio State University, USA, 1992.
- Myers (Charles Raymond), Silence and the unspoken: A study of the modes of not speaking, University of Texas, USA, 1975.
- Récanati (François), The Pragmatics of what is said, Mind and Language, vol. 4, No 4 Winter, 1989.